بسم الله الرحمن الرحيم

"نقض استدلالهم على بدء القتال: بأن اليهود عازمون على قتالنا سواء بدأناهم بالقتال أو لا"

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد.

فإن الجهاد عبادة من أجل العبادات، وهو كسائر العبادات من الصلاة والصيام والحج التي لابد من تحقق شروطها وانتفاء موانع صحتها حتى تكون على الوجه الذي يرضاه الله، والجهاد إذا لم تتحقق شروطه لم يكن مشروعا، وإذا لم يكن مشروعا كان معصية لله تعالى وكان بلاء ومحنة.

وقد استدل بعض الناس على مشروعية الجهاد الذي تقوم به حماس اليوم: بأنهم لو لم يبدؤوا بهذا القتال فإنَّ الصهاينة سوف يغزونهم ويبيدونهم، فالحرب قائمة على كل تقدير، والعدو سيبيد هم على كل حال – في زعم المستدل- فحاول المستدل بذلك تبرير فعلهم الذي تسبب بمفاسد عظيمة، فهلك الحرث والنسل وذهبت الأعراض والأموال، حتى جعل بعض الكفار يشفق على المسلمين مما نزل بهم بسبب هذه الحرب التي تسببت بها حماس، مع خلو هذه الحرب من المصالح الشرعية المعتبرة.

والرد على هذا الاستدلال من عدة وجوه:

الوجه الأول: العلم بنية العدو للغزو لم يكن يوما من الأيام علة لمشروعية الغزو بعد أن لم يكن مشروعا، فإما أن يكون القتال مشروعا لهم في هذه الحال، أو غير مشروع فإن

كان مشروعا فلا وجه لذكر هذه العلة، وإن كان غير مشروع لم تصيّره هذه العلة مشروعا؛ لأنَّ عدمها لم يكن علة ولا جزء علة في عدم شرعيته فلا يكون وجودها علة أو جزء علة في مشروعيته.

❖ **والأدلة على بطلان كونها علة لبدء قتالهم أمور:**

- **أولاً:** أن النبي ﷺ كان يعلم أنَّ المشركين في مكة عازمون بالقضاء على الإسلام وأهله ومع ذلك لم يبدأهم بقتال، بل كان يصبر على أذاهم ويأمر أصحابه بالكف عنهم.
- **ثانيا:** لما غزى كفار قريش النبي ﷺ في المدينة تحصن النبي ﷺ وحفر الخندق ومنع صحابته من أي فعل قد يؤدي للحرب.! وكل هذا منعا للمواجهة وتجنبا للحرب وهو أشجع الناس والمؤيد من الله، وصحابته هم أكمل هذه الأمة إيمانا وأعظمها إقداما وأشدها مراسا. وزد على ذلك: بأنَّ تفوق الكفار عددا وعدة لم يكن بذاك الشيء العظيم كما هو الآن، ومع ذلك بذل النبي ﷺ جميع الوسائل لتجنب القتال وحصل له ما أراد، فهذا غزو تام وجيوش قادمة وليست مجرد نية للعدو ومع ذلك اختار النبي ﷺ السلامة وتجنُّبَ هذه الحرب.
- **ثالثا:** أنه من المعلوم لدى عامة المسلمين فضلا عن خاصتهم أن جميع الكفار لهم أطماع في غزو السلمين وبلادهم وهذا أمر ذكره الله تعالى ورسوله عليه السلام، ومن هذه الأمم وأخبثها هؤلاء اليهود والرافضة، فإنهم يتحينون الفرصة لإبادة المسلمين وأهل السنة، فكلهم يعزم على إبادتنا متى ما سنحت لهم الفرص، ولا

يقول عاقل فضلا عن عالم بالشرع بجواز أن نبدأ الكفار جميعا بقتال مع حالنا اليوم من الضعف الديني والمادي.

الوجه الثاني: أن جعلَ "نية عزم العدو على غزونا" علةً لبدء قتاتلهم مخالفٌ لما قرره أهل العلم بأنَّ العلة لابد أن تكون وصفا ظاهرا منضبطا[1]، والنية: وصف ليس بظاهر ولا منضبط، والعجب كيف تُبنى المسائل العظام والمصائب الطوام على أمرٍ خفي وهو معرفة نية العدو، وقد كانت المسائل العامة عند العلماء تُبنى على معرفة خير الخيرين وشر الشرين ومعرفة المصالح والمفاسد.

الوجه الثالث: عدم مشروعية قتال حماس إنَّما هو لعلة الضعف، والحكم يدور مع علته عدما ووجودا سواء علمنا بنيتهم أم لم نعلم، والجهاد إذا لم تتحقق شروطه لم يكن مشروعا وإذا لم يكن مشروعا كان بلاء كما هو مشاهد الآن.

الوجه الرابع: إنَّ هذا يُعد من استعجال البلاء ولا يجوز استعجال البلاء، وقد قال النبي ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو»[2] هذا في التمني فقط فكيف بمن بدأهم حتى جلب العدو؟!، **فلو** تيقنا غزوهم لنا فقد يرسل الله عليهم ما يصدهم فيكف الله شرهم كما حدث للأحزاب قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩] وقد يصرف الله نيتهم فإنَّ الله يقلب القلوب ويصرف النيات، فيكف الله عن المسلمين هذه المصائب والرزايا.

---

[1] ينظر: «البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي» (٧/ ١٦٨)

[2] «صحيح البخاري- ط التأصيل» (٤/ ١٣٥) «صحيح مسلم- ط التركية» (٥/ ١٤٣)

فإن قيل: فما الواجب الشرعي إن علمنا بعزمهم على غزونا مع ضعفنا؟

فالجواب: أن **الواجب الأول:** بأن يُعلّم الناس في مثل هذه الأحوال التضرع لله والابتهال لا الحماس والعواطف، فالمسلم إذا علم بقدوم البلاء دعا الله وتضرع بين يديه وسأله بأن يصرفه عنه كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣] وأنتم تشاهدون ذلك حين قست القلوب اعتمدوا على الأسباب المادية بل اعتمدوا على أعداء الله من الرافضة وأذنابهم يرجون نصر الله فزين الشيطان لهم ذلك فالآية كاشفة فاضحة.

ومن جنس بلاء العدو الكافر بلاء الحاكم الظالم، ولذلك لما جاء الناس للحسن البصري ﵀ يشكون له الظلم الواقع من الحجاج قال: «إن الحجاج عقوبة من الله عز وجل لم تك؛ فلا تستقبلوا عقوبة الله بالسيف، ولكن استقبلوها بتوبة وتضرع واستكانة، وتوبوا تكفوه»[٣] وقال في لفظ آخر: «والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع الله ذلك عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيوكلوا إليه، ووالله ما جاءوا بيوم خير قط، ثم تلا: **﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٧] »[٤]

---

[٣] «العقوبات لابن أبي الدنيا» (ص٥٠)

[٤] «الشريعة للآجري» (١/ ٣٧٤). وانظر: «الطبقات الكبرى لابن سعد» (٩/ ١٦٤ ط الخانجي)

وفي السنة النبوية والتاريخ شواهد على تضرع المسلمين إلى الله تعالى عند غزو الكفار:

- **منها:** تضرع النبي ﷺ في غزوة بدر فقد قال علي رضي الله عنه: « وما منا إنسان إلا نائم، إلا رسول ﷺ فإنه كان يصلي إلى شجرة، ويدعو حتى أصبح»[٥]
- **ومنها:** في وقعة (شقحب) حين غزا المغول الشام زمن ابن تيمية قال ابن كثير في أحداث سنة (٧٠٢): «أصبح الناس يوم السبت على ما كانوا عليه من شدة الحال... فرأوا من المآذن سوادا وغبرة ... فغلب على الظنون أن الوقعة في هذا اليوم، فابتهلوا إلى الله عز وجل بالدعاء في الجامع والبلد»[٦] .
- **ومنها:** في قصص بني إسرائيل حين غزا ملكُ بابل "سنجاريب" بيتَ المقدس استغاث ملكُ بني إسرائيل بالله تعالى -وكان رجلاً صالحاً- فـ«أقبل على القبلة فصلى ودعا وبكى فقال -وهو يبكي وتضرع إلى الله بقلب مخلص-: اللهم رب الأرباب وإله الآلهة يا قدوس المتقدس يا رحمن يا رحيم يا رءوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم... »[٧] فـاستجاب الله له وأهلك عدوه فسجد شكرا لله تعالى من طلوع الشمس إلى العصر.

الواجب الثاني: التحصن -إن علمنا بنيتهم للغزو- كما فعل النبي ﷺ في الخندق أو اختيار مكان مناسب كما في غزوة أحد لا أن يُبدؤوا بقتال فهذا خلاف هدي النبي ﷺ .

---

[٥] «مسند أحمد» (٢/ ٣٦٣ ط الرسالة)

[٦] «البداية والنهاية – ط التركي» (١٨/ ٢٦):

[٧] ينظر: «تفسير البغوي - طيبة» (٥/ ٦٨)

الوجه الخامس: أن من قواعد الشرع أن من تسبب بضرر على الغير لزمه غرمه وإثمه، وأن من لم يتسبب فيه فلا شيء عليه ولو كانت النتيجة واحدة، فالإنسان إذا علم بأنَّ البلاء قادم فاستعجله وتسبب فيه كان آثما مخطئا عند الله، فإنه سيسأل أمام الله تعالى عن كل دم وقع، ولو أنه لم يتسبب في ذلك حتى جاء العدو فقاتلوه ولو قتل العدو منهم مائة ألف فلن يُحاسبه الله على ذلك، وهذا بخلاف من تسبب بشيء لم يحن أوانه لزمه غرمه وإثمه.

ومن شواهد ذلك في التاريخ: لما تسبب خوارزم شاه -أحد أمراء المسلمين- بغزو المغول للمسلمين، وذلك حين قتل تجارَ المغول، فتسلط المغول على المسلمين، وفعلوا بهم الأفاعيل، حتى قال ابن الأثير أن ما فعلوه بالمسلمين لا يكاد يتكرر في زمن من الأزمان، وندم الأمير المتسبب على فعله.[٨]

وأخيرا أقول: إن المنهج السلفي رحيم بالأمة يُعلقهم بالله تعالى وقت الفتن ويُرشدهم للتضرع والدعاء، ولا يُعرّضُهم للمحن والبلاء، ويحفظ دماء المسلمين وأعراضهم، فلا يتسبّبُ في ذهاب نفوسهم ضياعاً بلا فائدة.

وقد جاء عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه سأل أنس بن مالك ﷺ: إذا حاصرتم المدينة كيف تصنعون؟ قال أنس: نبعث الرجل إلى المدينة ونصنع له هنة من جلود قال: «أرأيت إن رمي بحجر؟ قال: إذا يقتل. قال: **«فلا تفعلوا، فوالذي نفسي بيده ما يسرني أن تفتحوا**

---

[٨] كما في سنة ٦١٧ هـ . ينظر:«الكامل في التاريخ لابن الأثير - ت تدمري» (١٠/ ٣٣٦ وما بعدها)، «البداية والنهاية لابن كثير – ط التركي» (١٧/ ٨٨) وما بعدها.

مدينة فيها أربعة آلاف مقاتل بتضييع رجل مسلم» [٩]. وفي رواية أنه قال: **«ما أحب أن تفتح قرية فيها ألف بضياع رجل مسلم»** [١٠] فتأمل رفق أمير المؤمنين عمر ﷺ بالمسلمين وخوفه من قتل مسلم بلا فائدة! في جهاد لا شك في مشروعيته، وقارنه بواقعنا!.

والخلاصة: أنَّ القول بشرعية الجهاد ونحن في ضعف لعلة أنَّ العدو ينوي غزونا فلا أعلم شرعا يُقره ولا عقلا يدعمه ولا عالما فاه به.! وليس له أصل صحيح في الشرع فهذا والله من الفهم الغريب العجيب وهو من تزيين الشيطان.

وكتبه د.حسن صنيدح العجمي

يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول ١٤٤٦هـ الموافق ٩/١٦ /٢٠٢٤م

---

[٩] أخرجه الشافعي في «الأم» (٤/ ٢٦٦ ط الفكر)

[١٠] «سنن سعيد بن منصور - الفرائض إلى الجهاد - ت الأعظمي» (٢/ ٢٦٦)